

الفكر الإحادي في وسائل الإعلام و اهتزاز هيبة الدولة الجزائرية المعاصرة ... أ.ليلي فيلالي

الفكر الإحادي في وسائل الإعلام

و اهتزاز هيبة الدولة الجزائرية المعاصرة

أ.ليلي فيلالي

جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة

عندما دخلت الجزائر مرحلة الاستقلال وجدت نفسها حاملة أثقال موروث الحقبات الأخيرة التي كانت تسجل تراجعاً حضارياً أعقبته سلسلة من الإخفاقات النهضوية الإستراتيجية في الأزمنة الحديثة والمعاصرة. و منذ اعتلاء القوى الوطنية سدة الحكم، حرصت الأغلبية الساحقة من الدول العربية بما فيها حتى تلك التي اختارت طريق التطور الرأسمالي، على عدم اعتناق النظرية الليبرالية الإعلامية.

و تعمل الدولة الجزائرية على إحكام سيطرتها على وسائل الإعلام خاصة منها الإعلام الإذاعي والتلفزي، رغم هوامش الحرية في الصحافة المكتوبة التي

الفكر الإحادي في وسائل الإعلام و احتراز هيبة الدولة الجزائرية المعاصرة ... أ.إيلي فيلالي
تضييق و تتسع حسب شروط الحرية الممنوحة و غير الملحوظة في القانون
المدون. و تنطلق من قناعة معلنة بأن نموذج إعلام الدولة يشكل حتمية تفرضها
مرحلة التطور الاجتماعي والاقتصادي والظروف السياسية و القومية
والإستراتيجية ... محتفظة بهيمنة قانونية و رقابية عليه ، ما يجعل الإعلام تابعا
وخاضعا ، بصورة جوهرية ، لمقومات الإعلام الرسمي السائد.

فتحتكر "الدولة" في البلدان العربية و الإسلامية باستثناء لبنان (و قطر مؤخرا
، لكن بصورة مخبرية ، غير معمرة و غير مقنونة) ، الإعلام السمعي ، أما
بالنسبة للإعلام المطبوع فقد سمحت دول عربية و إسلامية للقطاع الخاص
بالاستثمار فيه ، تاركة هوامش حرية تضييق و تتسع حسب شروط و ظروف
قطرية ، موضوعية و ذاتية غير مستقرة و غير ملحوظة في القانون المدون ، و
لكن محتفظة بهيمنة قانونية و رقابية عليه ، ما يجعله تابعا و خاضعا ، بصورة
جوهرية ، لمقومات الإعلام الرسمي السائد.⁽¹⁾

و أدى إحكام سيطرة الدولة على على وسائل الإعلام ، بالفعل إلى إبعاد
الأفراد والجماعات عن الإعلام و انفراد الدولة بالمسؤولية الإعلامية جميعا ،
على اعتبار أن الشأن الإعلامي يقع في مجال عمل المجتمع و لا يجوز تركه
للمبادرة الخاصة كغيره من الأنشطة ، إذ أن المرحلة التاريخية غير العادية تتطلب
إعلاما مجتمعا غير عادي ينخرط في عمليات التنمية و يسهم في تحقيق
طموحات الأمة ». ⁽²⁾

ولا بد في هذا الإطار إدراك التباين بين إعلام الدولة و إعلام السلطة ، ذلك
«أن إعلام الدولة هو إعلام المجتمع بكل فئاته و تياراته السياسية و الاقتصادية

(1)- فريال مهنّا، علوم الاتصال والمجتمعات الرقمية، دار الفكر، دمشق، 2002، ص 96.

(2)- المرجع نفسه ، ص 96-97.

الفكر الأحادي في وسائل الإعلام وامتزاز هيبة الدولة الجزائرية المحاصرة... أليلى فيلالي
والثقافية و الفكرية و القيمة ، و إعلام الدولة هو المعبر عن وقائع المجتمع
الكلي بتفاعلاته و إشكالياته ، بإنجازاته و إخفاقاته ، بتناغمه و تناقضاته ، وإعلام
الدولة هو المحتضن للحركة المجتمعية و المجسد لطبيعتها و المشارك في
تحديد اتجاهاتها ، وإعلام الدولة هو الذي يحتوي الرأي و الرأي الآخر ،
الموقف و الموقف المضاد ، السلطة والمعارضة ، الحاكم والمحكوم ، وهذا
الذي يبرز الإدارة العامة التي تؤدي دور الحكم بين "الأمير والرعية" ⁽¹⁾.

وإدراكا لأهمية الدولة في الأنظمة الإعلامية ما طرأ من تطور فكري على
النظرية الليبرالية التقليدية و خاصة ما يرتبط بالإعلام الإذاعي و التلفزيوني و دفع
العديد من الدول الرأسمالية المتطورة التي كانت تعيش مرحلة حضارة صناعية
وبعد صناعية ، و التي كانت أطلقت المبادرة الخاصة في الصحافة المطبوعة ،
تماشيا مع الفكر الليبرالي التقليدي ، إلى حصر الإعلام المسموع و التلفزيوني في
نطاق الدولة عقودا من الزمن ، إدراكا منها للتغيرات الجوهرية التي طرأت على
تركيبية الجمهور الإعلامي ، و خضوعا لضغوط قطاعات واسعة في المجتمع
المدني ، رأت في الإذاعة و في التلفزة خاصة تهديدا للتماسك الاجتماعي
و القيم الأخلاقية السائدة. ⁽²⁾

ثم شرعت الدول العربية ، بدءا من النصف الثاني من السبعينات ، في فتح
الأبواب تدريجيا أمام القطاع الخاص و قيده بسلسلة من التشريعات و القوانين
، بعد أن قطع إعلام الدولة أشواطاً و تعاظمت قدراته و تهيأت بنياته لخوض
التنافس بكفاية ، و بعد أن ولت مرحلة الانبهار الأولى بالوسائل الإلكترونية

⁽¹⁾ - المرجع نفسه ، ص 97.

⁽²⁾ - المرجع نفسه ، ص 97.

الفكر الإحادي في وسائل الإعلام وامتياز هيبة الدولة الجزائرية المعاصرة... أليلى فيلالي
وتطوراتها و أخذت تنمو في أوساط الجمهور العريض القدرة التحليلية و الروح
النقدية تجاه المنتج المسموع و التلفزي.⁽¹⁾

فتتأثر وسائل الإعلام في الجزائر كباقي الدول النامية عموما و الدول العربية
خصوصا بما يسمى " الميل السياسي " (Political Slant)⁽²⁾ و الذي يقصد به ارتباط
هذه الدول بإحدى الدول الكبرى ، و السعي إلى محاكاتها في النظم السياسية و
الاقتصادية.

وقد أطلق صمويل هنتجتون هذه العدوى أو المحاكاة كظاهرة بـ " كرات
الثلج " التي تتزايد حجما من أعلى إلى أسفل ، فالتحول الديمقراطي الناجح في
دولة ما يشجع على التحول الديمقراطي في دولة أخرى ، إما لأنها جميعا تواجه
مشاكل متماثلة فتعتبر الديمقراطية دواء مفيدا لكل مشكلاتها ، أو لأن الدولة
التي تحولت إلى الديمقراطية على درجة من القوة ، أو تعد مثلا سياسيا و ثقافيا
يحتذى به.⁽³⁾

وقد ساد هذا الخطاب خاصة بعد انكسار المعسكر الشرقي و قيادة العالم
بقطبية إيديولوجية واحدة سياسية ديمقراطية و اقتصادية رأسمالية و ثقافية عالمية
يقودها المعسكر الغربي بامتياز.

(1)- المرجع نفسه ، ص 97.

(2)- حسن عماد مكاوي ، أخلاقيات العمل الإعلامي: دراسة مقارنة، الدار المصرية اللبنانية،
القاهرة، 1994، ص 83.

(3)- Samuel P. HUNTINGTON , **The third ware : democratization in the
late twentieth century** , Norman university of OKLAHOMA PRESS ,
USA, 1991, P35.

الفكر الأحادي في وسائل الإعلام و اهتزاز هيبة الدولة الجزائرية المحاصرة ...أ.يلي فيلالي
ويرى هانتنجتون أننا لا نستطيع بأي حال إغفال أثر التطور السريع في مجال
الإعلام والاتصال و دوره البارز في عملية العدوى و المحاكاة التي ساهمت في
تحول صورة الثورة الديمقراطية العالمية في منتصف الثمانينات إلى واقع في
أذهان القادة السياسيين و المثقفين في معظم دول العالم.⁽¹⁾

حيث تبرز أهمية سمة العدوى الدولية في ظل التطورات الدولية الراهنة
وبروز التقدم الكبير في نظم الاتصال الدولية و شبكات الإذاعة المرئية
والمسموعة و سهولة التقاطها في كل أنحاء العالم، فالتقدم المتزايد في وسائل
الإعلام و الاتصال ينجم عنه تأثير متزايد للرسالة الإعلامية للدول الغربية التي
تنتهج المسار الديمقراطي بوصفها تعبر عن منظومة فكرية واحدة تقوم على
إعلاء قيم التعددية و التسامح و حق الانتخاب و غيرها من الأسس
الديمقراطية.⁽²⁾

و تجدر بنا الإشارة هنا إلى أن الأنظمة الإعلامية العربية - على العموم -
خلال هذه المحاكاة تحاول الاقتراب نظريا من الأنظمة الإعلامية و السياسية
الغربية و تقترب أكثر من خلال الممارسة إلى صورة النظم الإعلامية السلطوية.

ومن الواضح أن الإعلام الوطني و في أغلبية البلدان العربية في ظل هذه
الظروف لا يحمل خصائص إعلام الدولة ولا يتمتع بصفاته ذلك لأن آليات
تشكل النظام السياسي والاجتماعي العربي ، والمسوغات التاريخية و الفكرية
والحقوقية التي استخدمت لضمان استمراريته، عبر عقود الاستقلال، وفي
مراحل انتشار الإعلام الإلكتروني خاصة ، لأن الظروف الإقليمية و الدولية و ما

(1) - Ibid , P36.

(2) - الصادق رابح، " وسائل الإعلام و العولمة "، مجلة المستقبل العربي ، بيروت ، العدد

243 ، ماي 1999 ، ص 23-38.

الفكر الأحادي في وسائل الإعلام و اهتزاز هيبة الدولة الجزائرية المعاصرة ...أيلي فيلاي
نجم عنهما من احتلال و صراعات عربية عربية حد الدموية أحيانا ، و حروب
أهلية و إخفاقات قومية ، كل ذلك متضافرا و متفاعلا ، قدم الذرائع الكافية لكي
يتمكن أحد أطراف الدولة ، أي السلطة ، من استقطاب الإعلام الجماهيري
برمته ، و تعميق هذا الاستقطاب ، عقدا بعد عقد ، بحجة مواجهة " معطيات
المرحلة الخطيرة " ، حتى فقد إعلام الدولة أهم مقوماته و تحول إلى إعلام
الطرف الوحيد في معظم الحالات ، و جرى توظيفه للحفاظ على الحالة القائمة
(Statuquo) ريثما يتم حل " المعضلات القومية والإقليمية " ⁽¹⁾.

وبما أن الإعلام يعكس الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي
والأيديولوجي السائد في أي بلد من البلدان ، فمن البديهي وجود أيديولوجية
واحدة تحدد الخط السياسي والاقتصادي والاجتماعي للدولة، كما تحدد موقف
الدولة من الإعلام ودوره ووظائفه، التي تتكامل مع سائر مؤسسات الدولة
بهدف تحقيق وحماية مصالح وقيم وأهداف الطبقة التي تحكم والتي تسيطر
بالتالي على وسائل التعبير الإعلامي. ⁽²⁾

و هناك العديد من القيود التي تضعها حكومات الدول العربية والجزائر
كذلك على وسائل الإعلام و تشمل ما يلي : ⁽³⁾

أ- ضغوط تشريعية : قوانين دستورية و قوانين الصحافة و قوانين جزائية ،
مثل القذف ، و المثل أمام المحاكم و القوانين الجنائية.

⁽¹⁾ - فريال مهنا ، مرجع سابق ، ص 98.

⁽²⁾ - عبد الله بوجلال ، " الإعلام والرأي العام في الأقطار النامية والعربية " ، المجلة الجزائرية
للاتصال ، معهد علوم الإعلام والاتصال ، جامعة الجزائر ، العددان 6 و 7 ربيع وخريف 1992 ،
ص 61.

⁽³⁾ - حسن عماد مكاوي ، مرجع سابق ، ص 85-87.

الفكر الأحادي في وسائل الإعلام و اهتزاز هيبة الدولة الجزائرية المعاصرة ...أ.ليلي فيلالي

ب- ضغوط سياسية و اقتصادية : الرشاوي و المنح و الهدايا و السيطرة على طباعة الأخبار و الإعلانات الرسمية و التحكم في القروض البنكية.

ج- ضغوط السرية : تحريم الاقتراب من المعلومات الحكومية و عدم إدلاء المسؤولين الرسميين بالمعلومات و الأخبار.

د- ضغوط مباشرة ، مثل القيود المسبقة و الإجبار : الترخيص أو التسجيل والرقابة الذاتية التي تعتمد على مبادئ فضفاضة " في ظل علاقات غير موضوعية و بيروقراطيات لا تحتل سوى بروز عناصر لا تتمتع بكفاءة و بعيدة عن مقومات الأخلاقية المهنية ، و عناصر أرغمت على التهميش و الصمت لتحفظ بمواقفها ، ما جعل آليات الرقابة الذاتية عاملا من عوامل تدهور النشاط الإعلامي المهني ، و تحول الإعلام إلى مؤسسات بيروقراطية ، تابعة كلياً للمؤسسة السياسية ، حيث يتم صنع منتج إعلامي رديء يجري اجتراره و إرغام المتلقي على إعادة استهلاكه " (1).

و يخضع نظام التلفزي والإذاعي في الجزائر لممثلي الحكومة الذين يحددون لرؤساء التحرير ما لا يجوز نشره. « و يقوم حراس البوابة الإعلامية باختيار الحقائق و الأفكار و تقييمها بما يتناسب مع سياسات الدولة ، و يتم الاستعانة أثناء عملية اختيار الأخبار ببعض الإرشادات الحكومية التي تساعد على قياس القيمة الإخبارية للأحداث.

ويمكن أن تطبق نظرية لولب الصمت بشكل فعال في الجزائر حيث أن الإعلام السمعي- البصري يؤدي دورا لا يستهان به في تكريس الإيديولوجية المسيطرة، مقدما إياها على أساس أنها إيديولوجية الأكثرية الساحقة من الشعب.

(1) - فريال مهنا ، مرجع سابق ، ص 99.

الفكر الأحادي في وسائل الإعلام و اهتزاز هيبة الدولة الجزائرية المعاصرة ...أيلي فيلالي
وتبقى هذه النظرية صالحة للتعرف على مدى سطوة الإعلام السمعي- البصري
الداخلي في خلق وتكريس أفكار أحادية، وطرحها على الجمهور بتكرارية عالية
على اعتبار أنها تجسد أفكار الأكثرية، وإدانة أو نقد أفكار أخرى على أساس أنها
سلبية وهدامة.

وتعد نظرية لولب الصمت (Spiral of silence theory) من أكثر النظريات
الحديثة في بحوث الرأي العام وارتبطت باسم باحثة علم الاجتماع الألمانية
إليزابيث نويل نيومان (Elisabeth Noelle-NEUMANN) في عام 1974. وفحوى
النظرية يقوم على أن وسائل الإعلام حينما تتبنى اتجاها ثابتا ومتسقا مع إحدى
القضايا لبعض الوقت، فإن الرأي العام يتحرك في نفس اتجاه وسائل الإعلام.⁽¹⁾

فيميز النظام الإعلامي في الجزائر باتجاهه الدائم والمستمر لسيطرة
الحكومة بشكل مباشر وغير مباشر على وسائل الإعلام باختلافها لأجل مراقبة
تدفق المعلومات والعناصر بعمليات تصفية وتنقية تضيق وتتسع حسب
الموضوعات التي تساهم في استقراره أو زعزحته. ويتأتى ذلك بالهيمنة على
الرأي العام وإعطائه تفسيرات أحادية للأحداث تتلاءم ومصالح السلطة
السياسية.

وتبدو- كذلك- أهمية نظرية وضع الأجندة في أنها أصبحت أحد مناهج
دراسة الديمقراطية في المجتمعات الآن، حيث يرى علماء الاتصال الجماهيري
أن وسائل الإعلام هي الآلية التي تصل الحكومة بالرأي العام كما أنها تخلق
علاقة مباشرة بين الرأي العام والسياسة العامة. ومن هنا ظهر مفهوم ديمقراطية
الإعلام.

(1) - فريال مهنا، مرجع سابق، ص 259.

الفكر الأحادي في وسائل الإعلام و الهتزاز هيبة الدولة الجزائرية المحاصرة ...أ.ليلي فيلالي

إن الاتجاه الحديث في نظرية الأجندة هو الأقرب إلى الواقعية بحيث يتبنى وجهة النظر القائلة بديناميكية العلاقة بين نظام وسائل الإعلام ونظام الرأي العام ونظام السياسة العامة مع اختلاف التأثير المتبادل بينها في الدول الديمقراطية وغير الديمقراطية . ففي الدول غير الديمقراطية ومنها الجزائر- وفقا لهذا التصنيف- تؤثر أجندة السياسة العامة (Policy agenda-setting) في أجندة وسائل الإعلام (Media agenda-setting) وأجندة الرأي العام (Public agenda-setting) بأسلوب مباشر من خلال السياسات والقرارات التي تقوم عليها ،أو بأسلوب غير مباشر من خلال تأثيرها في أجندة وسائل الإعلام. ويفترض بسيوني إبراهيم حمادة أن النظم غير الديمقراطية تجعل تدفق تأثير وضع الأجندة غير متوازن وغير متبادل وفي اتجاه واحد بين الأنظمة الثلاث، بينما النظم الديمقراطية تجعل تدفق تأثير وضع الأجندة متوازنا ومتبادلا ومتعدد الاتجاهات.⁽¹⁾

بالتالي فإن الإعلام في ظل هذه القيود لا يتمتع بأي استقلالية و لا حرية حقيقية ، فلا يحق له ممارسة دوره الرقابي و النقدي على الحكومة و السلطة بمختلف أشكالها و مظاهرها وتجلياتها ، مما يعيق عملية المشاركة السياسية للجمهور المتلقي و بالتالي تراجع القيم الديمقراطية التي تركز على الفعل السياسي الإيجابي للجمهور. حيث أن الإعلام هنا لا يحق له إلا دعم أعمال السلطة ومساندتها و الترويج لها والتعظيم على ثغراتها و نقل الأوامر والتعليمات بشكل خطي و عمودي من الأعلى إلى الأسفل و سد المسار المتجه من الأسفل

(1) - بسيوني إبراهيم حمادة، "الاتجاهات الحديثة في بحوث وضع الأجندة"، المجلة

المصرية لبحوث الإعلام، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، العدد 4 ، ديسمبر 1998،

ص 341، 346.

الفكر الإحادي في وسائل الإعلام و احتراز هيبة الدولة الجزائرية المعاصرة ...أليلى فيلالي
إلى الأعلى ، إلا فيما يتعلق ببعض المسائل الهامشية التي تكون بعيدة كل البعد
عن المساس بمصالح السلطة و جوهرها.

لذا فإن غياب حرية التعبير في الإعلام العربي عموما و عدم تمتع هذا
الأخير بأية استقلالية حقيقية في المجتمع ليس ناجما عن طغيان إعلام الدولة
وانحسار الإعلام الخاص ، بل عن طغيان إعلام السلطة و تفويض إعلام الدولة
الذي هو قائم في مجتمعات أخرى بلغت أقصى مراحل التقدم و التي يخوض
فيها إعلام الدولة تنافسا مع الإعلام الخاص مما يسفر عن ارتفاع وتائر التطور
في العمل الإعلامي و لاسيما الفكري و المعلوماتي منه ، و يؤدي إلى تساوق
الإعلاميين العام و الخاص المستمر مع متطلبات الجمهور الإعلامي في عصر
المعلوماتية.⁽¹⁾

و لم يتعرف الجمهور الإعلامي في الجزائر على إعلام الدولة نتيجة
لانفصام الذي حصل بين المفهوم التشريعي و الحقوقي لإعلام الدولة من جهة،
و بين الممارسة العملية لهذا المفهوم من جهة أخرى ، و هو انفصام أدى إلى
انتفاء معظم مقومات إعلام الدولة و أهمها. كما أن تعميم رؤية السلطة
و أطروحاتها ، دون الأطراف الأخرى في المجتمع ، عبر قبضتها على إعلام
الدولة ، من شأنه أن يؤكد الإلزامية و يعطيها أبعادها الحقيقية ، و بذات المنطق
جيّرت السلطة هذا المفهوم لتوجد تناقضا وهما بين الإلزامية و بين المهنية
الإعلامية ، بحيث تستبعد إحداها الأخرى بصورة حتمية ، و ذلك لكي يتسنى
لها التضحية بالثانية (المهنية) لصالح الأولى (الإلزامية) ، فالأوضاع الاستثنائية
دوما « التي تعيشها البلدان العربية داخليا و قويا وإقليميا ، تجعل الإعلام

(1)- فريال مهنا ، مرجع سابق ، ص 100.

الفكر الإحادي في وسائل الإعلام و اهتزاز هبة الدولة الجزائرية المحاصرة ...أليلى فيلالي
"الإلتزامي" توصيفا ذرائعيا و غير علمي و أرغمت الآخرين على تبنيه و تعميمه
، يجب أن يحتل أولوية مطلقة في كل الأحوال»⁽¹⁾.

و حقيقة الأمر أن التناقض الفعلي في الإعلام العربي الواقعي يقع بين أحادية
الإلتزامية و بين المهنية التي تتطلب ممارستها ، تفاعلا و تقابلا و تبادلا ضمن
إطار تعددية إنتمائية للإعلام الجماهيري ، تجسد المجتمع بكل تنوعه و تلونه
واتجاهاته ، و لاشك أن هذا اللاتعاش الموضوعي بين وحدانية الانتماء في كل
الإعلام و بين المهنية ينبثق من تناقض لا خلاف عليه بين الإيديولوجية
والإقناعية (Persuasion) في الإعلام العربي الرسمي⁽²⁾.

إنه ثمة فرق بين الإيديولوجية و الإقناعية لذا يميز أومبرتو إيكو (U.ECO) في
كتابه "نظرية السيميولوجيا" (A Theory of semiotics) بين الإيديولوجية والإقناعية
فيصف الأخيرة بأنها تعرض للقيم الاختلافية و تقرر أسس القيم ذات الأفضلية ،
و لكنها تمارس عملية الإقناع انطلاقا من أن تلك القيم التفضيلية لا تتحرك في
نطاق أفضليات تدريجية و نسبية مفتوحة الآفاق⁽³⁾.

إن الإيديولوجية تطرح وجهة نظر وحيدة تكررهما إلى ما لا نهاية ، داعية إلى
اعتناقها والإيمان بها كمسلمة ، أما الإقناعية فهي تطرح وجهات نظر متعددة
وتناقشها و تقارن فيما بينها ثم تدعو إلى اعتناق إحداها ، بناء على اقتناع عقلي
ناجم عن حوار و مفاضلة.

(1)- المرجع نفسه ، ص 100-101.

(2)- المرجع نفسه ، ص 101.

(3)- المرجع نفسه ، ص 102.

الفكر الإيجابي في وسائل الإعلام و اهتزاز هيبة الدولة الجزائرية المعاصرة ... أليلى فيلالي
فيضع الإعلام الجزائري - في معظمه - منتجا إعلاميا يحتضن حقائق مطلقة
يتجول فيها تفكير مغلق الدوائر يحول دون قيام الإعلام بوظائفه الفيزيولوجية
كأداة لأحد أطراف العملية الاتصالية (المرسل)، ويحتوي هذا المنتج لغة
مونولوجية إقصائية تنفي الآخر و تنبذ القيم الحوارية و المفاهيم الاحتمالية
وترفض كل ما يقع في إطار الظرفية و السياقية و النسبية.

و لا ريب أن اجتماع هذه الصفات في المنتج الإعلامي العربي - عموما -
يمثل نموذجا مثاليا و مرتعا خصبا للغة المحضورات (Tabou) ، التي تعطل تماما
الوظائف الإنشائية للإعلام و التي تعد أحد مبررات وجود الإعلام في أي
مجتمع راهن.⁽¹⁾

تكون العملية إعلامية في شكل علاقة عمودية بين طرفي العملية الإعلامية
(المرسل - المستقبل) في اتجاه واحد من السلطة إلى الشعب ويؤدي الإعلام
بوسائله المكتوبة والسمعية البصرية أدواره كتابع للنظام السياسي السائد دون أن
يكتثر باتجاهات الرأي المختلفة، خاصة وأن المؤسسة الإعلامية في النظام
الإعلامي الجزائري لا زالت لم تدخل معترك التنافس في السوق الذي يتصل
بالسلوك الاقتصادي ذي العلاقة بالربح والخسارة، والمرتبط بعائدات الإشهار،
فتمويل تلك المؤسسات تتحمله السلطة التي تعتبرها إحدى أجهزتها الحساسة.

كما تعكس هذه الحال عزلة الجماهير عن اتخاذ القرار الذي يتعلق بحقوقها
و بتقرير مصيرها سواء كان القرار سياسيا أم اقتصاديا أم اجتماعيا ، و ينم عن
إحساس الحكومات في الدول العربية بانعدام جدارة الجماهير بهذه المشاركة أو
قدراتها على إدراك مسؤولية القرار أو خشية من أن تكون مثل هذه المشاركة

(1) - المرجع نفسه ، ص 102.

الفكر الإحادي في وسائل الإعلام و اهتزاز هيبة الدولة الجزائرية المعاصرة ...أ.ليلي فيلالي
الفعالة للجمهور في اتخاذ القرار طريقا إلى الحد من سلطات هذه الحكومات
وتعريض مركزها للاهتزاز، وتعد كمصدر للسلطات و أساس للشرعية.

وتتجسد المشاركة الواسعة للجمهور من خلال تمتعه بحقه في الاتصال
الذي عكست ملامحه ثورة الاتصال والمعلومات التي يصعب فيها على أية دولة
حجب المعلومات عن مواطنيها. ولكن لا يجب الإغراق في الأوهام بخصوص
حضارة الاتصالات... ، حيث تنجح السلطات في إحاطتنا بسياسات بوليسي للرقابة
على المعلومات، فحتى الوعد الديمقراطي لثورة الاتصالات في إتاحة
المعلومات للجميع وتسهيل التعرف على الآخر، مما يعد بتعزيز التفاهم بين
الشعوب، يترجم عكسيا في كثير من مناطق العالم.⁽¹⁾

إذا لم يتمكن المواطنون من الوصول إلى المعلومات أو إلى مستوى المعرفة
والإطلاع فلا يتمكنون من المشاركة في الحوار السياسي، وهذا ما يحدد بأن
أقصى أهداف الديمقراطية ليس ضمان الاستقلالية الفردية (Autonomie de
l'individu) فحسب، وإنما ضمان اندماجه ومشاركته داخل الجماعة التي لا يكون
لها معنى سواه.⁽²⁾

و لا شك أن هذه البيروقراطيات الإعلامية، التي أفرزتها أنظمة سياسية تغيب
عنها قيم الحرية و الديمقراطية و يغيب فيه المجتمع المدني النخبوي، تدرك أن
الخطر الحقيقي الذي يتهدهدها يكمن في التطور اللامنتقطع لتقنيات الاتصال
الأرضي الفضائي، و لذلك فإنها، و في محاولة منها لحماية امتيازاتها و تثبيت
عوامل استمراريتها ، تلجأ إلى عقد اتفاقيات فورية فيما بينها، بذريعة " التصدي

⁽¹⁾-وسيم مزيك، "تبصرات في ملامح الطبع الكوني القادم"، مجلة أبواب، العدد 25، 2000،
ص74.

⁽²⁾-ENCARTA Encyclopédie (C.D) , coll. .Microsoft corporation , 2003.

الفكر الأحادي في وسائل الإعلام و اهتزاز هيبة الدولة الجزائرية المعاصرة ... أ.إيلي فيلالي
لأخطار الغزو الخارجي الثقافي والقيمي"، و الحقيقة أن وجود هذه
البيروقراطيات يعد العامل الأهم في تحقيق أهداف " الغزو الخارجي " و تمرير
استراتيجياته ، لأنها تجسد كل ما من شأنه أن يحدث قطيعة فكرية و وجدانية
بين الجمهور العربي و إعلامه الوطني، و تدفعه بقوة لتلقف ما يأتيه عبر الفضاء ،
غثه و سمينه ، بعد أن جردته من أسلحته و منظوماته الدفاعية و في مقدماته
الوعي الاجتماعي و الروح النقدية.⁽¹⁾

إن الدور الاعتيادي لوسائل الإعلام يفترض أن تعمل على تقديم المعلومات
والآراء والإشادة والإعلام بالأمر الذي يتيح الاختيار المنطقي للمواطن. ولكن
الملاحظ غياب محيط عام في الجزائر يتم فيه تبادل الآراء والمعلومات بكل
حرية. وينسحب أمامنا سؤال: هل يقتصر الاتصال على طاقة النشر الهائلة التي
توفرها تكنولوجيات الاتصال والمعلوماتية عبر الفضائيات وشبكة الأنترنت؟

فرغم انتعاش مفهوم "حق الاتصال" في المفاهيم الليبرالية فيمكن قراءته في
أدبياتنا على أنه "حق التعرض"... فرغم فاعلات العولمة الإعلامية والاتصالية
التي ربما تعكس ظاهرة عادية فإنها ستصبح حالة سكونية جديدة ما دام الاتصال
يعبر عن "السطوة" أو قدرتنا على فرض ما نقول متجاهلين حيوية هذه العملية
بين المرسل والمتلقي وطبيعة الرسالة. وإذا بقينا متجاهلين التفاعل المقطوع هو
الذي يخلق السكونية، فإننا نجد أنفسنا أمام فراغ جديد يحيل العملية الاتصالية
لنوع من القهر الدائم عبر عمليات التهجم والتلطيف أو المدح أو الرثاء. لأن
أزمة الاتصال التي نلمسها ربما تعبر بجوهرها عن مدى معرفتنا بـ "حق الاتصال"
كمسألة يترتب عليها أيضا احترام الآخر في هذا الاتصال وليس الاستمتاع في

(1) - فريال مهنا ، مرجع سابق ، ص 106.

الفكر الإحادي في وسائل الإعلام و اهتزاز هيبة الدولة الجزائرية المحاصرة ...أ.ليلي فيلالي
"الإغراق" في المعلومة والرأي.⁽¹⁾

ويكمن الهدف الرئيسي لوسائل الإعلام في العالم الثالث عموما في البث بقصد الإعلام في اتجاه واحد، حيث لا تولي أي اهتمام حقيقي لدور أفعال الجمهور (رجع الصدى). ومن هناك يمكن القول حسب ما أشار إليه صالح بن بوزة أنه ربما كان المفهوم الأكثر دقة في التعبير عن مجموع الممارسات والأنظمة الإعلامية في العالم الثالث وهو "السياسة الإعلامية". وذلك استنادا إلى معيار عدم وجود مشاركة الجمهور أو من يهمهم الأمر في صياغة هذه السياسة، والذي يفترض أن يتوفر عند استخدام مفهوم "السياسة الاتصالية".⁽²⁾

وعند هذا المعنى تثار إشكالية السلطة الرابعة كصفة يتسم بها الإعلام في الأنظمة الليبرالية الغربية ولا نجد لها الأثر في مجتمعاتنا العربية والجزائر على وجه التحديد، لأن الإعلام لما يكون سلطة من سلطات الدولة يعتمد بالطبع على العلاقة بينه وبين الدولة وأجهزتها «فمفهوم السلطة الرابعة غير جائز إذا كانت هنالك علاقة ما بين الإعلام أو أي شكل من أشكال التأثير للحكومة على الإعلام. تظهر هذه الحالة عندما تسيطر أجهزة الدولة على الإعلام وتشرف عليه وتسيره بما تراه مناسب لها. ومثل هكذا إعلام لا يمكن تسميته سلطة لأنه تابع لأجهزة الدولة المستبدة»⁽³⁾.

(1) - مازن بلال، "أزمة اتصال"، [http:// www. Voltaire. Net. Org/artiel 141368.html](http://www.Voltaire.Net.Org/artiel141368.html)، تاريخ الزيارة 2006/02/15.

(2) - صالح بن بوزة، "الأنظمة الإعلامية في العالم الثالث: بعض مظاهر الهيمنة والتبعية"، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، العدد 112، 1996، ص 26.

(3) - فالح الساعدي، "حرب الإعلام - الإعلام كسلطة رابعة"، [http:// www. Alsabaah.com/paper.php? source= Akbar of mlf interpage of](http://www.Alsabaah.com/paper.php?source=Akbar%20of%20mlf%20interpage%20of%20sid%2033940) sid= 33940. تاريخ الزيارة 2008/10/10.

الفكر الأحادي في وسائل الإعلام و اهتزاز هيبة الدولة الجزائرية المحاصرة ... أليلى فيلالي
فكون الإعلام كسلطة رابعة إلى جانب السلطات الثلاث (التشريعية
والتنفيذية والقضائية) في الدول الديمقراطية يجعل منه رقيباً أو نائباً عن الرأي
العام في متابعة نشاطات وممارسات السلطات الثلاث، وهذا ما جعل إبراهيم
لنكولن يصرح «بأن حكومتنا تركز على الرأي العام، وكل من يستطيع أن يغير
الرأي العام يستطيع أن يغير الحكومة».⁽¹⁾

ولم يأت توسيم الإعلام بالسلطة الرابعة من فراغ ولكن لاعتبارات عدة منها
حياسة هذه الوسائل على المعلومات والأخبار حول القضايا المتعلقة بالمصلحة
العامّة وتؤدي إلى المزيد من المراقبة والمحاسبة للمؤسسات والمنظمات،
وبالتالي التأثير في القرارات المتخذة من قبل الدولة بسلطاتها الثلاث.

وفي حقيقة الأمر فالسلطة السياسية لا تقدم ذلك الوجه في كثير من بلدان
العالم الثالث وفي الجزائر كذلك، إذ غالباً ما تقيد من حرية وسائل الإعلام من
خلال العراقيل والقيود التي تفرضها على الإعلاميين لمنعهم بلوغ الحقيقة
حفاظاً على مصداقية النظام.

وقد أكد رالف لونشتاين وجون ميرل التناقض الضمني "للسلطة الرابعة"
ذاتها لأن الصحافة "كسلطة رابعة" يركز على افتراض مؤاده أن الصحافة جزء
أساسي من نظام الحكم، وهذا يعني أنه جزء مكمل للسلطات الثلاث الأخرى
التنفيذية والتشريعية والقضائية، وهناك افتراض آخر يتمثل في أن الصحافة تقوم
بدور المراقب على أداء الدولة وهذا يعزلها عن الحكومة ويناقض فكرة "السلطة
الرابعة" «فالصحافة ليست فرعاً رابعاً للحكومة ولا يوجد أي سبب يدعوها أن
تعتبر نفسها ناقداً أو مراقباً للحكومة، إذا وعلى أي حال أليست حرية الصحافة

⁽¹⁾ -دوريس إيه جريبر، سلطة وسائط الإعلام في السياسة، ترجمة أسعد أبو لبدة وفاروق

جرار، دار البشير، عمان (الأردن)، 1999، ص 64.

الفكر الإحادي في وسائل الإعلام و اهتزاز هيبة الدولة الجزائرية المعاصرة ...أ.ليلي فيلالي
تنطوي على منح الصحافة حرية بألا تكون فرعاً رابعاً للحكومة وناقداً لها؟»⁽¹⁾.

قد أصبحت قضية الدولة تحظى بأهمية خاصة في مطلع القرن الحادي والعشرين خاصة بعدما أثير موضوع انقضاء العهد الذهبي للدولة القومية في ظل عصر المعرفة والمعلوماتية. وقد بدأت الدولة الأمة تواجه تحديات متزايدة إلى حد دفع بعض العلماء إلى القول بنهاية حقبة الدولة- الأمة (القومية)، ففي عصر المعلومات أصبحت الاتصالات الحديثة تشكل القاعدة المجتمع مدني عالمي.

ففي القرن الثامن عشر كان يدعى "المواطن العالمي" كل من يهتم بما يحدث في العالم، أما اليوم فالبشر كلهم "مواطنون عالميون" جعلتهم الكوزموبوليتية (Cosmopolisme) كذلك، والمثقف هو المواطن العالمي الأول الحقيقي الذي يهتم بالأحداث البعيدة التي قد لا تعني أبداً المواطن العادي.⁽²⁾

والمعروف أن دور الدولة في مراحلها التاريخية الحديثة المبكرة كان يركز على الأمن وحماية المجتمع من الاعتداء الخارجي وحماية الأفراد من بعضهم البعض، واهتمت الدولة المعاصرة كذلك بضمان حريات الأفراد وحمايتهم من تعسف بعضهم البعض، وأخذت تبرز قضية تحديد سلطة الدولة ذاتها بمعنى تحرير المجتمع المدني من التدخل السياسي للدولة في ظل عدم تحديد سلطتها.

وضحت دراسات أنه في ظل ثورة الاتصال والمعلومات يصعب على أي

⁽¹⁾ -جون ميرل ورالف لونشتاين، الإعلام وسيلة ورسالة، تعريب ساعد خضر العربي

الحارثي، دار المريخ، السعودية، 1989، ص 233.

⁽²⁾ -Gérard .LECLERC, **la mondialisation culturelle : les civilisations à l'épreuve**, collection Sociologie d'aujourd'hui, Edition PUF, paris, 2000, P460.

الفكر الأحادي في وسائل الإعلام و اهتزاز هيبة الدولة الجزائرية المحاصرة ... أ.ليلي فيلالي
دولة حجب المعلومات عن مواطنيها، الأمر الذي يتطلب التركيز على تقديم
المعلومات أيا كانت إلى المواطنين، مما يدعم من مصداقية الدولة لدى
مواطنيها، ويقوي من ارتباطهم بها. كما أشارت دراسات أخرى أن الوظيفة
الاتصالية للدولة في عصر العولمة تتمثل في وضع البنية الأساسية لمجتمع
المعلومات ووضع القواعد والنظم القانونية التي تيسر انتقال وتداول وإنتاج البنية
الأساسية لمجتمع المعلومات ووضع القواعد والنظم القانونية التي تيسر انتقال
وتداول وإنتاج المعلومات في المجتمع، بما يوفر التحول إلى مجتمع
المعلومات.⁽¹⁾

كما تقوم الدولة من خلال تحقيق الأداء بين المؤسسات الحكومية والقطاع
الخاص ومنظمات المجتمع المدني، كما تعمل على تحقيق الربط والتكامل بين
الدائرة الوطنية والإقليمية والعالمية في كافة المجالات. وهكذا يتسع نطاق
مجموعة الوظائف الاتصالية للدولة في عصر المعلومات أفقياً ورأسياً وتنوع في
ذات الوقت توجهات وأهداف هذه الوظائف، وتنوع كذلك الأساليب والأدوات
اللازمة للقيام بهذه الوظائف.

وقد اهتمت الدول الغربية الليبرالية ذاتها بالاتجاهات التي تعيد تعريف دور
الدولة ومسؤوليتها الاجتماعية، وبدأ يبرز ذلك خلال السنوات الأخيرة في
الدول الرأسمالية تحت اسم "الليبرالية الجديدة" أو ما عرف "بالطريق الثالث"
(the third Way) كطريق لتجديد الليبرالية وبعض اتجاهات الاشتراكية
الديمقراطية.⁽²⁾

⁽¹⁾ -محمد سعد أبو عامود، "الوظائف الجديدة للدولة، في عصر العولمة"، مجلة الديمقراطية،

مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، العدد 3، جانفي 2001، ص 75-76

⁽²⁾ -هالة مصطفى، "الدولة وجدت لتبقى"، مجلة الديمقراطية، العدد 3، المرجع نفسه، ص 9.

الفكر الإحادي في وسائل الإعلام و اهتزاز هيبة الدولة الجزائرية المعاصرة ...أليلى فيلالي
وبغض النظر عن التسمية فإن الليبرالية الجديدة هي واحدة من الاتجاهات
الفكرية والسياسية الحديثة التي بدأت تجتاح العالم لتعيد صياغة دور الدولة
ومسؤوليتها في إقامة مجتمع يسوده أكبر قدر من العدالة الاجتماعية.

لذلك فإن اعتقاد الأكثرية بأن الخلل يكمن في الملكية العامة لوسائل
الإعلام و بأن الحل يكمن في تبني مفاهيم الليبرالية التقليدية في الإعلام التي
تجاوزتها الدول الغربية نفسها إثر انتشار وسائل الإعلام و الاتصال التكنولوجية
و اتجاهها نحو التمرکز و الاحتكار من قبل أقطاب اقتصادية أصبحت إحدى
الفاعلات في نظام الاتصال الكلي (العالمي) ، هو اعتقاد ينأى بكثير عن جوهر
القضية و إن استمد مشروعيتها من حقيقة أن جمهور وسائل الإعلام الجزائرية
خضعت لعقود طويلة لإعلام الطرف الأحادي و لم يتعرف أبدا على إعلام
الدولة الذي يمثل حاجة ملحة لولوج المجتمع الإعلامي و المعرفي ووضع
وتنفيذ استراتيجيات التنمية المستدامة، وعبره يستطيع المجتمع أن يخوض
عملية التواصل و التفاعل المجدي مع الفضاء الخارجي لخلق حالة من التأقلم
بين متطلبات الدولة المعاصرة واهتمامات شعوبها.

الفكر الأحادي في وسائل الإعلام و اهتزاز هيبة الدولة الجزائرية المعاصرة ...أ.ليلي فيلالي

المراجع:

- 1- بسيوني ابراهيم حمادة، "الاتجاهات الحديثة في بحوث وضع الأجندة"، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، العدد4، ديسمبر 1998.
- 2- جون ميرل ورالف لونشتاين، الإعلام وسيلة ورسالة، تعريب ساعد خضر العربي الحارثي ، دار المريخ ، السعودية ، 1989.
- 3 - حسن عماد مكاوي ، أخلاقيات العمل الإعلامي:دراسة مقارنة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1994.
- 4- دوريس إيه جريبر، سلطة وسائط الإعلام في السياسة، ترجمة أسعد أبو لبدة وفاروق جرار، دار البشير، عمان(الأردن)، 1999 ص64.
- 5- فريال مهنا، علوم الاتصال والمجتمعات الرقمية، دار الفكر، دمشق، 2002.
- 6- الصادق رابح، " وسائل الإعلام و العولمة "، مجلة المستقبل العربي ، بيروت، العدد 243 ، ماي 1999.
- 7- عبد الله بوجلال، " الإعلام والرأي العام في الأقطار النامية والعربية"، المجلة الجزائرية للاتصال، معهد علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، العددان 6 و7 ربيع وخريف 1992.
- 8- وسيم مزيك، "تبصرات في ملامح الطبع الكوني القادم"، مجلة أبواب، العدد 25، 2000.
- 9- صالح بن بوزة، "الأنظمة الإعلامية في العالم الثالث: بعض مظاهر الهيمنة والتبعية"، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، العدد112، 1996.
- 10- محمد سعد أبو عامود، "الوظائف الجديدة للدولة، في عصر العولمة"، مجلة الديمقراطية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد3، جانفي 2001 .

الفكر الأحادي في وسائل الإعلام و احتراز هيبة الدولة الجزائرية المعاصرة ...أ.ليلي فيلالي

11- هالة مصطفى، "الدولة وجدت لتبقى"، مجلة الديمقراطية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد 3 ، جانفي 2001.

12- مازن بلال، "أزمة اتصال"، [http:// www. Voltaire. Net. Org/articl 141368.html](http://www.Voltaire.Net.Org/articl141368.html)، تاريخ الزيارة 2006./02/15

13- فالح الساعدي، "حرب الإعلام- الإعلام كسلطة رابعة"، [http:// www.](http://www.Alsabaah.com/paper.php?source=Akbarofmlfinterpageofsid=33940) تاريخ

الزيارة 2008./10/10

14 - Samuel P.HUNTINGTON , **The third ware : democratization in the late twentieth century** , Norman university of OKLAHOMA PRESS , USA, 1991.

15 -ENCARTA Encyclopédie (C.D) , coll. .Microsoft corporation , 2003.

16 -Gérard .LECLERC, **la mondialisation culturelle : les civilisations à l'épreuve** , collection Sociologie d'aujourd'hui , Edition PUF , paris , 2000.